



منهج ابن عاشور في استخدام القراءات وتوظيفها في تفسيره

**Ibn Ashour's approach in the usage of Quranic readings and employing them
in his interpretation**

رضوان جمال الأطرش**

أثيرة ثائر عبدالحفيظ*

Radwan Jamal El-Atrash

ATIEAH THAER ABDULHFIH

ملخص البحث

يعد ابن عاشور من العلماء الذين أجادوا في توظيف القراءات في تفاسيرهم، وكثير من طلبة العلم لم يدركوا معالم منهجه في هذا الاستخدام، لكن المدقق يجد تفسير ابن عاشور ثرياً في منهجية الاستفادة من جميع القراءات العشر المتواترة، دون النظر في القراءات الشاذة. وارتأى الباحثان أن يستخدم المنهج الاستقرائي والتحليلي من أجل فضيلة التواؤم مع طبيعة هذا البحث، ومن أجل الوصول إلى نتائج ذات علاقة بعنوان البحث، ومن هذه النتائج على سبيل المثال: أن القراءات المتواترة هي جزء أصيل من تراثنا التفسيري الذي ابتدئ منذ نزول الوحي، فقد أصل له ابن مجاهد كتابه القراءات السبع، وأدخله الطبري في تفسيره، وصارت سنةً لدى كثير من المفسرين ومنهم ابن عاشور.

الكلمات المفتاحية: توظيف، القراءات، تفسير، ابن عاشور.

* طالبة ماجستير في قسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

e-mail: atherathaer9@gmail.com

** رضوان جمال الأطرش، الأستاذ المشارك في قسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

الإسلامية العالمية بماليزيا.
radwan@iiium.edu.my

Abstract:

Ibn Ashur is one of the gifted scholars who employ textual readings in their interpretations, even though many students and interesting booklovers of Islamic knowledges do not comprehend his technique and its procedure. Professionals and researchers in textual reviews novelties that the interpretation of Ibn Ashur encapsulates all ten recurring readings, without looking at anomalous readings. The researchers employ the inductive and analytical approach to align with the nature of this research, in order to reach important results, for example: that frequent readings are an inherent part of our interpretive legacy that commenced since the revelation of the Glorious Quran. Therefore, Ibn Mujahid has brought to him his book the seven readings, and al-Tabari included it in the interpretation, and became a heritage left behind as legacy for many interpreters, including Ibn Ashour.

Keywords: *Utilization, Readings, Exegeses, Ibn Ashur.*

المقدمة:

يعتبر علم القراءات من أهم العلوم المتعلقة بكتاب الله، فعلم القراءات قد حظي بالاهتمام به قديماً وحديثاً، فقد أدخله بعض المفسرون في مباحث تفسيره، كالطبري، والبغوي، وكذلك في الحديث، كما وجدنا العناية البالغة به من حيث التأليف به وجعله علماً مستقلاً له مؤلفاته، من جهة أخرى فإن القراءات المتواترة بتعدددها لا بد من إعمالها جميعاً، لأن تعدد القراءات ينزل منزلة تعدد الآيات، فكلاهما قاعدة متفق لا يوجد لها مخالف من أهل التوحيد، لكن إذا نقل عن بعض الأقدمين تشكيكهم في بعض وجوه القراءة المتواترة، كالطبري فهذا مرده بكل تأكيد هو عدم ثبوت تواتر هذه القراءة عندهم في ذلك الزمان، أما وقد اتفقت الأمة على التواتر في هذه الوجوه، فلا مندوحة من القول بأن سائر هذه الوجوه ولها نفس مكانة القرآن وقدره. وينبغي القول بأن هذه الاختلافات ليست متناقضة، أي بمعنى أن المفسر يلجأ

إلى إهدار أحد الوجهين إذا اعتمد الآخر؛ بل هي ذات معان متضامنة يكمل بعضها بعضاً، فهذا الوجه قد يدل على ما لا يدل عليه أخوه، لكنه لا ينافره ولا يضاده، بل يمنح معنى جديداً يضمن سبيل التفسير¹.

يرى ابن عاشور أن على المفسر أن يكون ملماً بالقراءات، وأن يبين اختلافها، لأن في معرفة اختلافها توفيراً لمعاني الآيات، فيقوم تعداد القراءات مقام تعداد كلمات القرآن². فلما كان للقراءات أهمية بالغة على التفسير اعتنى به المفسرون عنايةً بالغة في القراءات، لأنها توضح المعنى المقصود من كلام الله، فثبتت أحد اللفظين في قراءة قد يوضح المقصود من نظيره من القراءة الأخرى، أو يثير معنى غيره³. يقول ابن عاشور: "والظن أن الوحي نزل بالوجهين وأكثر، تكثريراً للمعاني، وإذا جزمنا بأن جميع الوجوه في القراءات المشهورة هي مأثورة عن النبي ﷺ، على أنه لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مراد الله تعالى، ليقراً القراء بوجوه فتكثر من جراء ذلك المعاني، فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مجزئاً عن آيتين فأكثر، وهذا نظير التضمنين في استعمال العرب، ونظير التورية والتوجيه في البديع، ونظير مستتبعات التراكيب في علم المعاني، وهو زيادة ملائمة بلاغة القرآن، ولذلك كان اختلاف القراء في اللفظ الواحد قد يكون معه اختلاف المعنى"⁴.

فالمفسر: إذا اعتمد قراءة واحدة وأعرض عن غيرها فكأنما ترك بعض ما أنزل، وأعرض عن تفسير القرآن بالقرآن الذي هو أول ما ينبغي أن يبدأ به.

والفقيه: إن أعرض عن مواضع الخلاف في بعض آيات الأحكام أخطأ السبيل ولم يهتد لوجه الصواب فيها.

¹ انظر: محمد حبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1419هـ/1999م)، ص121.

² انظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (بيروت: مؤسسة التاريخ، ط1، 1420هـ/2000م)، ج1، ص50-56.

³ انظر: عبد الهادي دحاني، القراءات المفسرة، (المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة، د.ط، 1422م)، ص8.

⁴ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص54.

والنحوي: أن ابتعد عن أهم مصدر لقواعده وهو القرآن وقراءاته الثابتة فقد جانب الصواب وبنى نحوه على أساس غير متين.

والتالي للقرآن: إن حُرِّم تعلم بعض القراءات فقد حُرِّم التعبد ببعض ما أنزل من عند الله للتعبد والإعجاز وهكذا⁵.

فأهمية علم القراءات متداخلة مع الحكمة من اختلاف تعدد القراءات القرآنية. مما سبق يتضح لنا أن القراءات لها أثر بالغ على التفسير، واستخراج المعاني وتوضيحها، لأن كل قراءة توضح معنى، لم توضحه القراءة الأخرى.

الحكمة من تعدد القراءات: لقد كان لتعدد اختلاف القراءات حكمة عظيمة، نذكر منها، فيما ذكره ابن الجزري، والميداني، والزرقاني، وبعض ممن كتب في علم القراءات. قال القسطلاني: "لم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارئ معنى لا يوجد في قراءة الآخر ذلك المعنى، فالقراءات حجة الفقهاء في الاستنباط ومحجتهم في الاهتداء إلى سواء الصراط"⁶. فالله سبحانه وتعالى أنزل القرآن على سبعة أحرف، وقال الرسول ﷺ عنها: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تيسر منه»⁷. "وقد نسخ بعض الأحرف السبعة في العرصة الأخيرة"⁸. وقال البغوي: "يقال إن زيد بن ثابت شهد العرصة الأخيرة التي فيها ما نسخ وما بقي وكتبها لرسول الله ﷺ وقرأها وكان يقرأ الناس بها حتى

⁵ عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، **القراءات القرآنية تاريخها ثبوتها حجيتها وأحكامها**، تحقيق: مصطفى سعيد الخن، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999م)، ص67.

⁶ أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، **لطائف الإرشادات لفنون القراءات**، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، (السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، د.ط، 1434هـ)، ج1، ص171.

⁷ محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول صلى الله ﷺ وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ج12، ص432، رقم الحديث4992.

⁸ وقال السيوطي **عن العرصة الأخيرة**، "وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن سيرين قال كان جبريل يعارض النبي ﷺ كل سنة في شهر رمضان مرة فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه مرتين فيرون أن تكون قراءتنا هذه الأحرف على العرصة الأخيرة". انظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: سعيد المنذوب، (بيروت: دار الفكر، د. ط، 1416هـ/1996م)، ج1، ص140.

مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه وولاه عثمان ليكتب المصحف⁹، لكن لم يبق إلا جزءاً منها، والتي سماها المتأخرون بالقراءات السبع والعشر¹⁰.

فوائد وأسرار تعدد أوجه القراءات: إن القرآن الكريم بهذه القراءات والأوجه المتعددة له فوائد وأسرار لنزوله بهذه الأوجه نذكر منها.

1- "التيسير والتخفيف والتهوين على هذه الأمة، فهذا التخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفاً لها وتوسعةً ورحمةً وخصوصيةً لفضلها، وقال ابن الجزري: "وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم، والنبي ﷺ بعث إلى جميع الخلق أحمرها وأسودها وعريتها وأعجمها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفلة وألسنتهم شتى ويعسر على أحد الانتقال من لغة إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج، لاسيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتاباً كما أشار إليه النبي ﷺ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكلف بما لا يستطيع وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطبع"¹¹.

2- إظهار نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدثها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل. يقول ابن قتيبة: "إنما يعرف فضل القرآن؛ من كثرة نظره واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنائها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة، والبيان، واتساع المجال، ما أوتيته العرب

⁹ المرجع السابق، ج1، 140.

¹⁰ انظر: محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكري، محمد خالد منصور، مقدمات في علم القراءات، (عمان، دار عمان، ط1، 1422هـ/2001م)، ص39.

¹¹ شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي مجد الضباع، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ج1، ص22.

خصيصي من الله، لما أرهصه في الرسول، وأراده من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب، فجعله علمه، كما جعل علم كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه، فكان لموسى فلق البحر، واليد، والعصا، وتفجر الحجر، في التيه بالماء الراو، إلى سائر أعلامه زمن السحر. وكان لعيسى إحياء الموتى، وخلق الطير من الطين، وإبراء الأكمه والأبرص، إلى سائر أعلامه زمن الطب. وكان لمحمد ﷺ، الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يأتوا به، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، إلى سائر أعلامه زمن البيان¹².

3- القراءات على كثرتها يصدق بعضها بعضاً، ويشهد بعضها لبعض، وذلك عظيم البرهان،

وواضح الدلالة، إذ هو مع كثرة الاختلافات، وتنوعه، لم يتطرق إليه تضاد، ولا تناقض، ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، على نمط واحد وأسلوب واحد، وهذا

آية بالغة، وبرهان صادق وقاطع على صدق ما جاء به النبي ﷺ¹³. قال الزرقاني: "ومعنى هذا أن القرآن يعجز إذا قرئ بهذه القراءة ويعجز أيضاً إذا قرئ بهذه القراءة الثانية، ويعجز أيضاً إذا قرئ بهذه القراءة الثالثة، وهلم جرا، ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه والحروف، ولاريب أن ذلك أدل على صدق محمد لأنه أعظم في اشتمال القرآن على مناح جمّة في الإعجاز وفي البيان على كل حرف ووجه وبكل لهجة ولسان"¹⁴ قال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّىٰ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:42].

¹² أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ص17.

¹³ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص52.

¹⁴ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1996م). ج1، ص149.

4- "سهولة حفظه وتيسير نقله على هذه الأمة، إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة، فإنه من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى لقبوله من حفظ جملاً من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفة، لا سيما فيما كان خطه واحداً، فإن ذلك أسهل حفظاً وأيسر لفظاً.

5- إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليلبغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك، واستنباط الحكم، أو الأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسرارته، وخفي إشاراته، وإنعامهم النظر في الكشف عن التوجيه، والتعليل، والترجيح، والتفصيل، بقدر ما يبلغ غاية علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى﴾ [آل عمران: 195].

6- بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال، والبحث عن لفظه، والكشف عن صيغته، وبيان صوابه، وبيان تصحيحه وإتقان تجويده، حتى حموه من خلل التحريف، وحفظوه من الطغيان والتطيف، فلم يهملوا تحريكاً ولا تسكيناً، ولا تفخيماً ولا ترقيقاً، حتى ضبطوا مقادير المدات وتفاوت الإملات وميزوا بين الحروف بالصفات، مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم، ولا يوصل إليه إلا بإلهام باري النسم.

7- إظهار ما ادخره الله تعالى من المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة، لهذه الأمة، فكان تنوع

القراءات حافظاً على حفظ أسانيد القرآن، لأن الأمة تحتاج إلى توثيق القراءات بأسانيد القراء، فتسبب ذلك في اتصال أسانيد القرآن من خلال أسانيد القراءات، واتصال السند من خصائص هذه الأمة.

8- منها ظهور سر الله تعالى في تولية حفظ كتابه العزيز، وصيانته كلامه المنزل بأوفى البيان والتميز، فإن الله تعالى لم يخل عصراً من العصور ولو في قطر من الأقطار، من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى وإتقان حروفه، ورواياته،

وتصحيح وجوهه، وقراءته، يكون وجوده سبباً لوجود هذا السبب القويم على مر الدهور، وبقاؤه دليلاً على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور¹⁵.

9- "إنها حفظت كثيراً من لغات العرب ولهجاتهم من الضياع والاندثار؛ لأنها استعملت أفصح ما عندهم، فالقرآن والقراءات منة على أهل اللغة العربية"¹⁶.

10- "إنها جمعت الأمة الإسلامية الجديدة على لسان واحد يوحد بينها وهو لسان قريش الذي نزل به القرآن الكريم، والذي انتظم كثيراً من مختارات السنة القبائل العربية التي كانت تتردد على مكة في موسم الحج وعلى أسواق العرب المشهورة.

11- "إن تعدد القراءات وتنوعها يفيد أهل العلم أثناء تفسيرهم لكتاب الله ومحاوله الفهم

عن الله تعالى"¹⁷. نذكر بعض الأمثلة على ذلك:

أولاً- بيان حكم من الأحكام: بأن تنفيذ قراءة إطلاق قراءة أخرى، ونحو ذلك¹⁸، مثاله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَاللَّاءِ أَوْ امْرَأَةٌ وَهِيَ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ﴾ [النساء: 12]. قرئ: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمَّه﴾ بزيادة عبارة "من أمه" وهي مقيدة لإطلاق لفظ الأخت والأخ¹⁹، "وهذا حكم مجمع عليه"²⁰.

¹⁵ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص52-53-54.

¹⁶ أبو طاهر عبد القويم السندي، صفحات في علوم القراءات، (المكتبة الأمدادية، ط1، 1415هـ)، ص140.

¹⁷ عبد الحلیم قابة، القراءات القرآنية، ص70.

¹⁸ المرجع السابق، ص70.

¹⁹ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ/1964م)، ج5، ص78، روى ذلك من قراءة سعد بن أبي وقاص.

²⁰ محمد بن عمر بن سالم بازمول، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، (السعودية: جامعة أم القرى، 1412هـ،

1413هـ)، رسالة دكتوراه في الشريعة الإسلامية، ج1، ص152.

ثانياً- "الترجيح لحكم اختلف فيه، كقوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: 89]، جاء في قراءة "أو تحرير رقبة مؤمنة" ²¹، بزيادة لفظ "مؤمنة" فكان فيها ترجيح لاشتراط الإيمان فيها هذا يؤيد مذهب من ذهب إليه أهل العلم ²².

ثالثاً- "الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين" ²³، كقوله تعالى: ﴿اعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: 222]، قرئ بالتخفيف والتشديد في حرف الطاء من كلمة "يطهرن" ²⁴.

رابعاً- ما يكون للجمع بين حكمين شرعيين ²⁵، كقوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ

إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: 6]، قرئ بنصب لفظ

﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ وبجرها ²⁶، فقراءة النصب تفيد وجوب الغسل، لأن لفظ ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ معطوفاً على لفظ ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ المنصوب، وهو مغسول، وقراءة تفيد فرض المسح، لأن عطفها يكون على لفظ ﴿رُءُوسِكُمْ﴾ المجرور وهو ممسوح، وقد بينها الرسول ﷺ فجعل المسح للابس الخف، والغسل لغيره ²⁷.

²¹ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 29، ذكر هذه القراءة ابن الجزري في كتابه النشر لكن ابن الجزري لم ينسبها.

²² المرجع السابق، ج 1، ص 29.

²³ سالم بازمول، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، ج 1، ص 152.

²⁴ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر في رواية ﴿يَطْهُرْنَ﴾ خفيفة، وقرأ حفص عن عاصم وحمة والكسائي ﴿يَطْهُرْنَ﴾ مشددة، انظر: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، التيسير في القراءات السبع، تحقيق: اوتو تريبزل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط 2، 1404هـ، 1984)، ص 80.

²⁵ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 29.

²⁶ قرأها نافع وابن عامر والكسائي وحفص ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بنصب اللام، وقرأها الباقر بجرها، انظر: الداني، التيسير في القراءات السبع، ص 98.

²⁷ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 29.

خامساً- "دفع توهم ما ليس مراداً، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ

يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: 9]، فقراءة: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يقتضي ظاهرها المشي بسرعة إلى صلاة الجمعة²⁸.

"وقرى: ﴿فَامضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾²⁹، فهذه القراءة كانت موضحة للقراءة الأولى ورافعة لما يتوهم منه³⁰.

سادساً- "بيان لفظ مبهم"³¹، كقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: 5]، "وقرى: ﴿كَالصَّوْفِ الْمَنْفُوشِ﴾"³²، هذه القراءة وضحت أن العهن هو الصوف³³.

12- "في تعدد القراءات مساعدة اللغويين في دراسة اللهجات العربية، لما كانت القراءات مصدراً رئيسياً في الفن وكما أن اختلاف اللهجات سبب من أسباب تعدد القراءات"³⁴.

²⁸ المرجع السابق، ج 1، ص 29.

²⁹ قرأها عمر وابن عباس وابن مسعود وغيرهم، ﴿فَامضُوا﴾ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ)، ج 4، ص 534.

³⁰ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 29.

³¹ المرجع السابق، ج 1، ص 29.

³² قرأها ابن مسعود ﴿كالصوف﴾ انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 4، ص 790. وانظر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف، غاية النهاية في طبقات القراء، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط1، 1351هـ)، ج 2، ص 55.

³³ انظر: سالم بازمول، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، ج 1، ص 154.

³⁴ عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 1996م)، ص 83.

13- "من فوائدها كذلك حينما تتعدد القراءات يكون في لك حجة للنحويين، مثال ذلك أن الكوفيين يستدلون على جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار بقراءة كسر الميم"³⁵، في ﴿وَالْأَرْحَامِ﴾، من قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: 1].

14- تعدد القراءات يؤدي إلى بيان مراد الشرع واستنباط الأحكام، وفوائد كثيرة من حيث القراءة عندما تتغير مع القراءة الأخرى أو تختلف معها، فإن هذا الاختلاف أو التغير يفيد حكماً يعتبر موضوعاً يتعلق إما بالعبادات أو بالعبادات، وقد يتعلق بالتفسير اللغوي من جهة النحو أو الصرف أو البلاغة.

15- إثراء العملية التفسيرية ومساعدة المفسرين في فهم معاني آي القرآن، لأن القراءة أحياناً تكون مفسرة للقراءة الأخرى، ويبين أن هذا الاختلاف في القراءات يوضح دور منزلة القراءات في التفسير، وأنه لا محالة للمفسر من الاعتماد عليها، فالتفسير القرائي يوظف جميع أنواع القراءات من متواتر وشاذ وغيره³⁶.

16- "إن اختلاف هذه القراءات اختلاف تنوع وتغير لا اختلاف تضاد وتناقض"³⁷، الاختلاف له فائدة في التعدد والتنوع، فهو يفيد التوسعة والتيسير في تعامل المخاطبين مع كلام الله تعالى³⁸، يقول في هذا ابن عطية في مقدمة تفسيره: "فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال، ولا في تحليل حرام، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة"³⁹. ثم نضيف إلى تلك الفوائد في تعدد القراءات ما ذكره الشيخ عبد الرحمن ابن حَبَّكَة الميداني من حكمة فوائد تعدد القراءات.

³⁵ عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة، إبرار المعاني من حرز المعاني في القراءات السبع، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ص410. وانظر: أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط2، 1418هـ/1997م)، ص21-22.

³⁶ عبد الهادي دحاني، القراءات المفسرة، ص19.

³⁷ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص49.

³⁸ عبدا لهادي دحاني، القراءات المفسرة، ص21.

³⁹ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422م)، ج1، ص43.

17- "توضيح التكامل الفكري، فمن اختلاف القراءات في النص الواحد الغرض منه تأدية كل قراءة لمعنى لا تؤديه القراءة الأخرى، فتقوم القراءتان أو الأكثر مقام تعدد الآيات، وتؤدي القراءات المختلفة تكاملاً في المعاني المقصودة جميعاً.

18- التكامل في الأداء البياني، كأن يراعى في النص توجيهه مرة بأسلوب الحديث عن الغائب ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 74]، وتوجيهه مره بأسلوب الخطاب الوجيه المباشر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 85]، وكأن يراعى في النص توجيهه بالبناء للمعلوم مرة كقوله تعالى: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ [البقرة: 58]، وتوجيهه مرة أخرى بالبناء لما يذكر فاعله، كقوله تعالى: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ ﴿يُغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾.

19- التنوع في الأداء الفني الجمالي، مع ما قد يتضمنه دلالات فكرية وبيانية، مثل جعل الشرط بصيغة الفعل الماضي في قراءة، وجعله بصيغة الفعل المضارع في قراءة أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [البقرة: 158]، ﴿وَمَنْ يَطَّوَّعَ خَيْرًا﴾ ففي كل القراءتين صيغة جمالية قصد التنزيل التنبيه عليها، واستخدامها باعتبارها عنصراً من عناصر الإعجاز الفني.

20- إثبات وجوه عربية متكافئة، فيما قسمه علماء العربية حين أرادوا ضبط هذه اللغة بعد اختلاط الشعوب، إلى علوم اللغة، والنحو، والتصريف، والبلاغة (المعاني-البيان-والبديع)، وجاء في التنزيل إثبات هذه الوجوه أمثلة يقاس عليها، وشاهداً دائماً على أنها من الوجوه الجائزة في العربية، وأنه يحسن استمرار استمالها في وجوه الكلام العربي، مع ما تتضمنه من تحقيق الأعراس الثلاثة، ثم بينها رحمه الله تعالى. وقد تتداخل الأعراس بعضها ببعض في نص واحد، فيكون اختلاف القراءات فيه للتكامل الفكري، وللتكامل في الأداء البياني، وللتنوع في الأداء الفني الجمالي، ولإثبات وجوه عربية متكافئة، وهذه الأعراس يمكن اعتبارها إحدى وجوه الإعجاز في القرآن المجيد⁴⁰.

⁴⁰ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، قواعد التدبير الأمثل لكتاب الله عزوجل، (دمشق: دار القلم، ط4، 1430هـ/

2009م)، ص722-724.

بعد أن أوردنا فوائد التعدد في القراءات، وأوردنا ما ذكره ابن الجزري، والزرقاني، والميداني، نرى حكمة الله تتجلى في تعدد القراءات، تيسيراً للعرب للتدبر القرآن وسهولة النطق به، وإظهار وجوه إعجازه، وإثبات وجوه العربية للقرآن، وما إلى ذلك من التسهيل لقراءة القرآن الكريم، ولكي يقرأه العامة وغيرهم، ولكي يحفظ للقرآن وقراءاته المتواترة سندها المتصل.

أنواع القراءات من حيث السند: بعد أن عرفنا تطرقنا إلى سنتطرق إلى أنواع القراءات، قسم علماء القراءات، القراءات من حيث السند إلى ستة أنواع منهم ابن الجزري.

أولاً المتواتر: "وهو ما رواه جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم: مثاله ما اتفقت الطرق في نقله عن السبعة، وهذا الغالب في القراءات⁴¹.

ثانياً المشهور: وهو ما صح سنده، بأن رواه العدل الضابط عن مثله، وهكذا، ووافق العربية ووافق أحد المصاحف العثمانية، سواء أكان السبعة أم العشر أو غيرهم من الأئمة المقبولين واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط، ولا الشذوذ، إلا أنه لم يبلغ درجة المتواتر⁴². وهذان النوعان يقرأ بهما مع وجوب اعتقادهما ولا يجوز إنكار شيء منهما.

ثالثاً الصحيح: وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور، مثاله قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: 128] قرئ ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ بفتح الفاء هذا النوع لا يقرأ به ولا يجب اعتقاده.

⁴¹ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص9-13. وانظر: شعبان محمد إسماعيل، القراءات أحكامها و مصدرها، (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ط2، 1402هـ)، ص91-94. وانظر: مصطفى ديب البغا، الواضح في علوم القرآن، (دمشق: دار الكلم الطيب، ط2، 1418هـ/1998م)، ص118-119.

⁴² ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص9-13. وانظر: شعبان محمد إسماعيل، القراءات أحكامها و مصدرها، ص91-94. وانظر: مصطفى ديب البغا، الواضح في علوم القرآن، ص118-119.

رابعاً الشاذ: وهو ما لم يصح سنده، مثال قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: 92] ورد بطريق غير صحيح أنه قرئ ﴿فَالْيَوْمَ نُنَحِّيكَ﴾ بالحاء بدل الجيم.

خامساً الموضوع: وهو ما نسب إلى قائله من غير أصل⁴³.

سادساً ما يشبه المدرج من أنواع الحديث: وهو ما زيد عن القراءات على وجه التفسير، مثال

قوله تعالى: ﴿فَصَبَّامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ [المائدة: 89]، قرأ ابن مسعود ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مَتَابَعَاتٍ﴾⁴⁴.

هذه هي أنواع القراءات من حيث السند، تضمنت نوع المتواتر، وهذا هو النوع الموجود في القراءات السبع لاتفاق الطرق في نقله بسبب تواتره إلى النبي ﷺ، واستحالة الكذب.

نوع تضمن المشهور الذي صح سنده بشرط موافقة العربية أو أحد المصاحف العثمانية، ونوع تضمن الصحيح، ونوع تضمن الشاذ، ونوع تضمن الموضوع، ونوع تضمن المدرج.

منزلة القراءات من التفسير

لا بد أن نتعرف عن منزلة القراءات القرآنية من تفسير كلام الله تعالى، لوجود العلاقة المتينة بين القراءات والتفسير، تكمن هذه المنزلة من خلال معرفة أفضل طرق التفسير، فهي تنحصر في الطرق الآتية⁴⁵.

1- تفسير القرآن بالقرآن والسنة.

⁴³ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص9-13.

⁴⁴ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص9-13. وانظر: شعبان محمد إسماعيل، القراءات أحكامها و

مصدرها، ص91-94. وانظر: مصطفى ديب البغا، الواضح في علوم القرآن، ص118-119.

⁴⁵ بازمول، القراءات واثرها في التفسير والأحكام، ج1، ص375.

2- تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

3- تفسير القرآن بقول التابعي بقول التابعي وبلغه العرب⁴⁶.

فمنزلة القراءات من التفسير تتضح من خلال الآتي:

1- المعنى التفسيري الناتج عن اختلاف القراءات المقبولة، وهذا النوع يندرج ضمن (تفسير القرآن بالقرآن).

2- أما القراءة المردودة فلا محل لها من التفسير بتاتاً.

3- أما المعنى التفسيري الناتج من القراءة الشاذة فإنه إن لم يكن من باب تفسير القرآن بالقرآن، فلا نجزم بقرآنيته ولا بعدمها، فإنه يكون من باب (تفسير القرآن بقول الرسول ﷺ)، أو على أدنى الأحوال من باب (تفسير القرآن بقول الصحابة)، وهذا هو الراجح في المسألة⁴⁷.

اهتمام ابن عاشور بالقراءات في تفسيره.

إن المفسرون والمهتمون في علم القراءات قد بذلوا جهداً كبيراً في العناية بتفسير كتاب الله وما يتعلق به من علم القراءات، ففسروا كتاب الله ووضحوا ما فيه من العلوم وكشف معانيه، والمراد من كتاب الله، فاهتموا بكتاب الله اهتماماً بالغاً من أوله إلى آخره بدراسة تحليله لمعانيه ومقاصده، فهذه الدراسة سارت مع الزمن على تدرج ملحوظ، وتلون بألوان مختلفة.

فالقارئ لكتب التفسير على اختلاف ألوانها، لا يطرأ إليه شك في أن كل ما يتعلق بالتفسير من الدراسات المختلفة قد وفاه هؤلاء المفسرون الأقدمون حقه من البحث والتحقيق في كل النواحي الموجودة، تتمثل هذه النواحي في الناحية البلاغية واللغوية والأدبية والنحوية والفقهية والمذهبية والكونية الفلسفية، فقد تناول المفسرون كل هذه النواحي

⁴⁶ انظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ط، 1490هـ/1980م)، ص39-44. وانظر: بازمول، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، ج1، ص375.

⁴⁷ انظر: بازمول، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، ج1، ص376.

بتوسع، فلم يترك لمن جاء بعدهم إلى ما قبل عصرنا، فكل هذه النواحي وغيرها من عمل جديد أو أثر مبتكر يقومون به في تفاسيرهم التي الفوها فهي تمثل عملاً ضئيلاً لا يعدوا أن يكون جمعاً لأقوال المتقدمين، أو شرحاً لغامضها، أو نقداً وتفنيداً لما يعتوره الضعف منها، أو ترجيحاً لرأي على رأي، مما جعل التفسير يقف وقفةً طويلةً مليئةً بالركود، خالية من التجديد والابتكار⁴⁸.

إن الله تعالى وهب ابن عاشور عقلاً راجحاً، وفكراً قوياً لإخراج مثل هذه المؤلفات الممتعة، منها تفسير (التحرير والتنوير، المعروف بتفسير ابن عاشور) فهذا التفسير لابن عاشور يعد من أهم كتب التفسير الموسوعة التي يستفاد منها في كثير من جوانب الحياة، وكذلك في جانب القراءات، فابن عاشور قد اهتم اهتماماً بالغاً في ذكر القراءات ووجوها المختلفة وما الذي تفيده تعدد وتنوع هذا القراءات. فبدأ ابن عاشور بوضع مقدمة التفسير فيما تتعلق بالقرآن وعلومه وتفسيره، وسماها (مقدمة تفسير التحرير والتنوير)، وذكر في فجعل في مقدمته عدة مقدمات تختص بعلم التفسير، المقدمة السادسة خاصة (في القراءات). فهذا التفسير يعد من التفاسير المعاصرة المشهورة، فبدأ بكتابة تفسيره في سنة 1341هـ، وكان آنذاك عمره الخامسة والأربعين، وانتهى من كتابه في 1380هـ، فقال في خاتمة تفسيره: وكان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام 1380، فكانت مدة تأليفه 39 سنة وستة أشهر⁴⁹.

يقول الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: إن هذا التفسير يعتبر نوع من الاتجاه العقلي حيث إنه يركز على إعمال العقل، وعلى التحليلات العقلية النظرية، وعلى تقديم الرأي المحمود⁵⁰. فكان منهج بن عاشور في تفسيره الاهتمام بالقراءات اهتماماً بالغاً، وأفرد لها المقدمة السادسة سماها (في القراءات)، فقال في هذه المقدمة: "ولكني رأيتني بمحل

⁴⁸ انظر: محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1985م)، ج2، ص363.

⁴⁹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص558.

⁵⁰ انظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، (بيروت: دار القلم، ط4، 1431هـ/2010م)، ص566.

الاضطرار إلى أن ألقى عليكم جملاً في هذا الغرض تعرفون بها مقدار تعلق اختلاف القراءات بالتفسير، ومراتب القراءات قوةً وضعفاً، كي لا تعجبوا من إغراضي عن ذكر كثير من القراءات في أثناء التفسير⁵¹.

معالم المنهج العاشوري في التعامل مع القراءات في تفسيره:

المعلم الأول: أوضح ابن عاشور في مقدمته ليس كل اختلاف بين القراءات له أثر في التفسير، فإن القراءات من ناحية التفسير لها قسمين:

1- قسم من القراءات لا أثر له بالتفسير بحال.

2- قسم من القراءات له أثر بالتفسير من جهات متفاوتة⁵².

القسم الأول: فهي تكون في اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات، كمقادير المد والإمالات، والتخفيف والتسهيل والتحقيق والجره والهمس، والغنة والإخفاء، فمميزات هذه القراءة ترجع إلى أنها حفظت على أبناء العربية مالم يحفظه غيرها، وذلك من خلال الآتي:

1- تحديد كيفية نطق العرب بالحروف في مخارجها وصفاتها.

2- التلقي مشافهة للقراءات من الصحابة بالأسانيد الصحيحة.

⁵¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص50.

⁵² انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص50. وانظر: خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، (بيروت: دار النفائس، ط5،

1428هـ/2007م)، ص428. وانظر: بازمول، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام،

ج1، ص379.

3-سعة بيان وجوه الإعراب، فهي تعتبر مادةً كبرى لعلوم العربية⁵³.

وذكر ابن عاشور أمثلة لهذا القسم التي لا يؤثر على التفسير يسمى هذا النوع من الاختلاف القراءات (اختلاف لغات)

رقم الآية	السورة	الكلمة	أوجه القراءة
156	الأعراف	﴿قَالَ عَدَايِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾	﴿عَدَايِي﴾ قرأها نافع وأبو جعفر بفتح الياء. ﴿عَدَايِي﴾ قرأ باقي القراء بإسكان الياء
254	البقرة	﴿يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾	﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ قرأ باقي القراء بالرفع مع التنوين في الثلاثة ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ قرأ المكّي والبصريان بالفتح من غير تنوين في الثلاثة
214	البقرة	﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾	﴿حَتَّى يَقُولَ﴾ قرأ باقي القراء بفتح اللام ﴿حَتَّى يَقُولُ﴾ قرأ نافع برفع اللام ⁵⁴

بعد أن ذكر ابن عاشور هذه الأمثلة قال: فهذا الاختلاف لا علاقة له بالتفسير، بسبب عدم تأثيره في اختلاف معاني الآي⁵⁵.

⁵³ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص50.

⁵⁴ انظر: انظر: عبد الفتاح عبد الغني القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرية، تحقيق: صبري رجب كرم، (القاهرة: دار السلام، 1، 1429هـ/2008م)، ج1، ص112-126-323.

⁵⁵ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص50.

القسم الثاني: قسم من القراءات له أثر بالتفسير من جهات متفاوتة.

وذكر ابن عاشور أمثلة لهذا القسم التي يؤثر على التفسير يسمى هذا النوع من الاختلاف القراءات (اختلاف تنوع وتغاير)

رقم الآية	السورة	الكلمة	أوجه القراءة	المعنى العام من اختلاف القراءات في الآية
4	الفاحة	﴿مَالِكٍ﴾	﴿مَالِكٍ﴾ قرأعاصم والكسائي ويعقوب وخلف بإثبات الألف. ﴿مَلِكٍ﴾ قرأها باقي القراء بحذف الألف. ⁵⁶	1- تمثيل لاختلاف القراء في حروف الكلمات ⁵⁷ . يبين ابن عاشور ان قراءه ﴿مَلِكٍ﴾ بدون ألف صفة مشبهة صارت إسمًا لصاحبها الملك بضم الميم. ﴿مَالِكٍ﴾ وقراءة اثبات الألف، اسم فاعل من (ملك) إذا اتصف بالملك بكسر الميم. فكلاهما مشتق من (مَلِكٍ) فاصل مادة ملك في اللغة ترجع تصاريفها إلى معنى الشد والضبط، ثم يتصرف ذلك بالحقيقة والمجاز والتحقيق. الاعتبار من قراءة ﴿مَلِكٍ﴾ تدل على تمثيل الهيئة في نفوس السامعين، لأن الملك بفتح الميم وكسر اللام هو ذو الملك بضم الميم، والملك بضم الميم أخص من الملك بكسر

⁵⁶ انظر: عبدالفتاح القاضي، البدور الزاهرة، ج1، ص29.

⁵⁷ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص54.

<p>الميم، لأن الملك بضم الميم هو التصرف في الموجودات والاستيلاء ويختص بتدبير أمور العقلاء وسياسة جمهورهم وأفرادهم ومواطنهم، فلذلك يقال، ملك الناس، ولا يقال ملك الدواب أو الدراهم، وأما الملك بكسر الميم فهو اختصاص با لأشياء ومنافعها دون غيره⁵⁸.</p>				
<p>2- تمثيل لا اختلاف القراء في الحركات التي الذي يختلف معه معنى الفعل⁶⁰. فبعد توضيح مذاهب القراء في هذه الآية يبين ابن عاشور فيقول: إن قراءة ﴿يَصْدُونَ﴾ بضم الصاد: بمعنى يصدون غيرهم عن الإيمان. 2- وقراءة ﴿يَصْدُونَ﴾ بكسر الصاد: بمعنى صدودهم في أنفسهم. ✽ الخلاصة في معاني الآية: كلا المعنيين حاصل منهم⁶¹.</p>	<p>2- ﴿يَصْدُونَ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم وحمزة والكسائي بكسر الصاد. ﴿يَصْدُونَ﴾ وقرأها باقي القراء بضم الصاد⁵⁹.</p>	<p>﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصْدُونَ﴾</p>	<p>الزخرف</p>	<p>57</p>

⁵⁸ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص172.

⁵⁹ انظر: عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة، ج2، ص817.

⁶⁰ المرجع السابق، ج1، ص54.

⁶¹ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص54.

فيقول ابن عاشور بعد ذكر الأمثلة ومثل هذا القسم له تأثير على التفسير، لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى، أو يثير معنى غيره، لأن اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة⁶².

يقول ابن عاشور: "والظن أن الوحي نزل بالوجهين وأكثر، تكثيراً للمعاني، وإذا جزمنا بأن جميع الوجوه في القراءات المشهورة هي مأثورة عن النبي ﷺ، على أنه لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مراد الله تعالى، ليقراً القراء بوجوه فتكثر من جراء ذلك المعاني، فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مجزءاً عن آيتين فأكثر، وهذا نظير التضمنين في استعمال العرب، ونظير التورية والتوجيه في البديع، ونظير مستتبعات التراكيب في علم المعاني، وهو زيادة ملائمة بلاغة القرآن، ولذلك كان اختلاف القراء في اللفظ الواحد قد يكون معه اختلاف المعنى"⁶³.

المعلم الثاني: يرى ابن عاشور ضرورة الإمام بعلم القراءات لمن وظف نفسه وظيفته التفسير القرآني، لهذا كان على المفسر أن يكون ملماً بالقراءات، وأن يبين اختلافها، لأن في معرفة اختلافها توفيراً للمعاني الآيات، فيقوم تعداد القراءات مقام تعداد كلمات القرآن⁶⁴.

المعلم الثالث: استخدم ابن عاشور علم التوجيه القراءاتي في تفسيره: مستخدماً كل طاقاته وإبداعاته اللغوية، فقد استخدم رحمه الله جزءاً كبيراً من مباحث البلاغة وهو فارس من فرسانها، كما استخدم كذلك بعض مباحث النحو ولهجات العرب، ومن الأمثلة الشاهدة على تفوقه في هذا المجال، ما قاله في عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186]. قال رحمه الله: "وحذفت ياء المتكلم من قوله «دعان» في قراءة نافع وأبي عمرو وحمزة والكسائي لأن حذفها في الوقف لغة

⁶² انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 54.

⁶³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 54.

⁶⁴ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 50-56.

جمهور العرب عدا أهل الحجاز، ولا تحذف عندهم في الوصل لأن الأصل عدمه ولأن الرسم يبنى على حال الوقف، وأثبت الياء ابن كثير وهشام ويعقوب في الوصل والوقف، وقرأ ابن ذكوان وعاصم بحذف الياء في الوصل والوقف وهي لغة هذيل⁶⁵.

المعلم الرابع: استخدام علم الصرف ومبثني الحقيقة والمجاز في تحديد المراد، ومن ذلك ما قاله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4]: قسم قراءة القراء لكلمة ملك إلى قسمين:

القسم الأول: بدون ألف، وهو ما قرأه الجمهور، قال رحمه الله: وقوله ﴿ملك﴾ قرأه الجمهور بدون ألف بعد الميم. فالأول صفة مشبهة صارت اسماً لصاحب الملك (بضم الميم).

القسم الثاني: ما كانت قراءته بالألف، وهو ما قرأه عاصم والكسائي ويعقوب وخلف ﴿مالك﴾ بالألف. كما رويت عن عثمان وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وطلحة والزبير. والثاني اسم فاعل من ملك إذا اتصف بالملك (بكسر الميم)⁶⁶.

وهناك تظهر قراءته في استخدام علم الصرف، بقوله: وكلاهما مشتق من ملك، فأصل مادة ملك في اللغة ترجع تصاريدها إلى معنى الشد والضبط كما قاله ابن عطية، ثم يتصرف ذلك بالحقيقة والمجاز، والتحقيق والاعتبار.

الترجيح: إن قراءة ﴿ملك﴾ بدون ألف تدل على تمثيل الهيئة في نفوس السامعين لأن الملك - بفتح الميم وكسر اللام - هو ذو الملك - بضم الميم - والملك أخص من الملك، إذ الملك - بضم الميم - هو التصرف في الموجودات والاستيلاء

⁶⁵ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص179.

⁶⁶ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص175.

ويختص بتدبير أمور العقلاء وسياسة جمهورهم وأفرادهم ومواطنهم فلذلك يقال: ملك الناس ولا يقال: ملك الدواب أو الدراهم، وأما الملك - بكسر الميم - فهو الاختصاص بالأشياء ومنافعها دون غيره⁶⁷.

المعلم الخامس: اعتماده على النقل في توجيه القراءات: ومنه في قوله تعالى أيضاً: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4]، حيث قال رحمه الله: وقرأ الجمهور (ملك) بفتح الميم وكسر اللام دون ألف ورويت هذه القراءة عن النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبي بكر وعمر في «كتاب الترمذي»⁶⁸. فهذا الأسلوب فيه براعة، لأنه يعتمد وسيلة الإقناع التي تجعل القارئ يسلم لوجهة نظرة، حين يأتيك بالأدلة اللغوية والأدلة النقلية.

المعلم السادس: اعتماده على التاريخ في توجيه القراءات: يثق ابن عاشور في ابن عطية ثقة لا حدود لها، ولهذا يكثر من استشهاده في مجال القراءات، يقول رحمه الله: قال ابن عطية: حكى أبو علي عن بعض القراء أن أول من قرأ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ مروان بن الحكم فرده أبو بكر بن السراج بأن الأخبار الواردة تبطل ذلك فلعل قائل ذلك أراد أنه أول من قرأ بها في بلد مخصوص. ثم ختم حديثه عن القراءتين بالقول: وكلتا هما صحيحة ثابتة كما هو شأن القراءات المتواترة⁶⁹.

نتائج البحث والتوصيات.

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- أن قسم من القراءات له أثر على التفسير، وهذا النوع يسمى اختلاف تنوع وتغاير، بينما هناك نوع من القراءات لا أثر له على التفسير فهذا النوع يسمى اختلاف لغات، وقد تم التمثيل لكل هذه الأنواع من الاختلاف.

⁶⁷ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 175.

⁶⁸ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 175.

⁶⁹ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 175.

- 2- أن ابن عاشور يهتم اهتماماً بالغاً بالقراءات في تفسيره.
- 3- يذكر القراءة ثم يقوم بنسبة القراءة الى أصحابها القراء.
- 4- وبعد ذلك يقوم بتوجيه القراءات وبيان اختلاف القراءات.
- 5- توضيح ما الذي تفيد هذه الأوجه من الاختلاف في الآية الواحدة.
- 6- عدم الترجيح بين القراءات المتواترة.

التوصيات:

- 1- أوصي نفسي وكل طلبة العلم من القراءة والاطلاع على كتب العلم والاستفادة منها، ولا تكون القراءة فقط في حدود البحث.
- 2- أوصي الباحثين خصوصاً في مجال الدراسات القرآنية الاهتمام بالقراءات المتواترة، والاستفادة منها، لأن القراءات بفضل الله تفتح أمام الباحثين أشياء جديدة، لم يكن ينتبه إليها من قبل، مما تزيد الباحث في بحثه تراءً وتنوعاً.
- 3- أوصي طلبة العلم الباحثين في مجال القراءات، أولاً بحفظ القراءات القرآنية، من خلال التلقي مشافهةً من أفواه المشايخ المتقنين لكتاب الله المتصل سندهم بالنبي ﷺ، لأن الباحث إذا كان الباحث حافظاً للقراءات يسهل عليه معرفة الاختلافات الواردة في الكلمات، ويمكنه من التفريق بين أصول القراءات وفرشيتها.
- 4- الاهتمام بالعلوم المتعلقة بالقرآن والقراءات، مثل علوم القرآن والتفسير، والسبب أن القراءات لها تأثير كبير في معاني كتاب الله تعالى، من الناحية اللغوية والبلاغية والتفسيرية وغيرها، من أجل جذب الناس إلى كتاب الله ومعرفة معانيه.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الجزري أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف. (1351هـ). غاية النهاية في طبقات القراء. (ط1). القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
- ابن الجزري أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف. (د.ت). النشر في القراءات العشر. محمد علي الضباع (تحقيق). (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. (1980م). مقدمة في أصول التفسير. (د.ط). بيروت: مكتبة دار الحياة.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. (2000م). تفسير التحرير والتنوير. (ط1). بيروت: مؤسسة التاريخ.
- ابن عطية، أبي محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي. (2001م). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري. (د.ت). تأويل مشكل القرآن. إبراهيم شمس الدين (تحقيق). (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم. (د.ت). إبرار المعاني من حرز المعاني في القراءات السبع. إبراهيم عطوة عوض (تحقيق). (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.
- إسماعيل، شعبان محمد. (1402هـ). القراءات أحكامها ومصدرها. (ط2). مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي.
- البخاري، أبو عبد الله بن إسماعيل. (1422هـ). الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ. محمد زهير ناصر الناصر (تحقيق). (ط1). بيروت: دار طوق النجاة.
- البغا، مصطفى ديب. (1998م). الواضح في علوم القرآن. (ط2). دمشق: دار الكلم.
- بازمول، محمد بن عمر بن سالم. (1412هـ/1413هـ). القراءات وأثرها في التفسير والأحكام. رسالة دكتوراه. من جامعة أم القرى. كلية الدعوة وأصول الدين.

الحبش، محمد. (1999م). القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية. (ط1). دمشق: دار الفكر.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح. (1431هـ). تعريف الدارسين بمناهج المفسرين. (ط4). بيروت: دار القلم.
الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر. (1984م). التيسير في القراءات السبع. أوتو تريزل (تحقيق). (ط2). بيروت: دار الكتاب العربي.

دحاني، عبد الهادي. (1422هـ). القراءات المفسرة. (د.ط.). المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
الذهبي، محمد السيد حسين. (1985م). التفسير والمفسرون. (ط1). القاهرة: مكتبة وهبة.
الراجحي، عبده. (1996م). اللهجات العربية في القراءات القرآنية. (د.ط.). الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
الزرقاني، عبد العظيم. (1996م). مناهل العرفان في علوم القرآن. (ط1). بيروت: دار الفكر.
الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله. (1407هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. (ط3). بيروت: دار الكتاب العربي.

السندي، أبي طاهر عبد القيوم بن عبد الغفور. (1415هـ). صفحات في علوم القراءات. (ط1). مكة: المكتبة الأمدادية.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. (1996م). الإلتقان في علوم القرآن. سعيد المنذوب (تحقيق). (د.ط.). بيروت: دار الفكر.

العك، خالد عبد الرحمن. (2007م). أصول التفسير وقواعده. (ط5). بيروت: دار النفائس.
قابة، عبدالحليم بن محمد الهادي. (1999م). القراءات القرآنية تاريخها ثبوتها حجيتها وأحكامها. مصطفى سعيد الحن. (تحقيق). (ط1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد. (2008م). البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدورة. صبري رجب كريم (تحقيق). (ط1). القاهرة: دار السلام.

- القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. (2002م). *الجامع لأحكام القرآن*. محامد إبراهيم الحفناوي. محمد محمود حامد عثمان (تحقيق). (د.ط.). القاهرة: دار الحديث.
- القسطلاني، أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر. (1434هـ). *لطائف الإرشادات لفنون القراءات*. مركز الدراسات القرآنية (تحقيق). (د.ط.). السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- مفلح القضاة، محمد أحمد. أحمد خالد شاكر. محمد خالد منصور. (2001م). *مقدمات في علم القراءات*. (ط1). عمان: دار عمار.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حَبْنَكَة. (2009م). *قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ*. (ط1). دمشق: دار القلم.
- محمد، أحمد سعد. (1997م). *التوجيه البلاغي للقراءات الفرآنية*. (ط2). القاهرة: مكتبة الآداب.